الذي يكره الحرب كرهاً ما بعده كره، ويحبّ السلم محبّة ما فوقها محبّة ـ أنا الذي يبارك الحياة ويقدّسها حتى في أصغر المخلوقات شأناً ـ أنا مدعو لخدمة الحرب، وقهر السلم، وإتلاف الحياة في مخاليق مثلي لا أعرفهم ولا يعرفونني، ولا آذيتهم في حياتي ولا آذوني؟! حقاً إنّها المهزلة الكبرى. وإنّها المأساة الجلّى. ولكن سنة صرفتها جندياً بسيطاً في فرنسا ومنها تسعة أيّام في خطوط النار، ما كانت مهزلة ولا مأساة. وحلقاتها في سلسلة حياتي، كما أراها اليوم، هي من الحلقات الفضيّة، بل الذهبيّة. فأيّ يد صاغتها وكوّنتها حلقات متماسكة في سلسلة حياتي رغم إرادتي ورغم كلّ ميولي؟ بل أي يدٍ قادتني إلى ميادين القتال وكانت رفيقةً بي إلى حدّ أنّني ما أُكرهت أن أطلق رصاصة واحدة من بندقيتي على جندي من «الأعداء» ولا أكره جندي من الأعداء أن يطلق رصاصة واحدة عليّ رغم أنّني كنت في خطوط النار ومحوطاً من كلّ جانب بالأخطار؟ إنّها لم تكن يدي من غير شكّ.

وجدير بي وأنا أحدثكم عن حياتي في الحرب وعن اليد الخفية التي قادتني إليها ومنها أن أسرد لكم حادثاً واحداً من حوادث كثيرة وطريفة وقعت لي في خلال خدمتي العسكرية في فرنسا: